رثاء القائد العربي وصوره في الشعر العباسي

م.م شروق خماس حسن
الجامعة المستنصرية \ كلية التربية الأساسية
shurooqkhamas@uomustansiriyah.edu.iq
07711310121

مستخلص البحث:
يعدّ الشعر العباسي من أبرز الفنون الأدبية في التاريخ العربي، حيث عكس التحولات الإجتماعية والسياسية التي شهدها العصر العباسي ، ومن الموضوعات التي شغلت حيزاً كبيراً .من اهتمام الشعراء هي رثاء القادة العرب، حيث تُجسد هذه القصائد .مشاعر الفقد والألم، وتبرز القيم التي. كان يمثلها هؤلاء القادة،عاكسة العلاقة الوثيقة. بين الشعر والسلطة ،وبين الشاعر. والرمز القيادي.
تتميز قصائد الرثاء في الشعر. العباسي بالبلاغة والعمق العاطفي، حيث استخدم .الشعراء أساليب متنوعة لتصوير مشاعر الأسى، مع استحضار مآثر القادة وأعمالهم. لم تكن هذه القصائد مجرد تعبير عن الفقد، بل كانت وسيلة لتخليد الذكرى وإبراز إنجازات القادة، مما يعكس شعور الانتماء والولاء.
يهدف البحث إلى استكشاف صور رثاء القائد العربي في الشعر العباسي من خلال تحليل نماذج شعرية مختارة، وإبراز دور الشعرفي تشكيل الذاكرة التاريخية والثقافية. يركّز البحث على البنية الموضوعية لرثاء القادة، ويستعرض كيفية تصويرهم كرموز للفروسية، والبطولة، والحكمة، والعدل، كما تتنوع آليات الرسم الفني بين مفاهيم عدة مثل الغياب والتخصيص والتبادل ، ويُبرز مدى ارتباط هذا الرثاء بالقيم السياسية والإجتماعية التي كانت سائدة في العصر العباسي، كما تناول البحث الأساليب اللغوية والبلاغية في رسم صورة القائد مثل استخدام التوازي التركيبي، والتشبيهات، والاستفهام ،والنداء والجمل المترادفة، مع بروز صور معنوية تعكس الخلود ،مثل الكرم والصبر والبطولة، والأساليب الخطابية التي تعكس الحزن والفخر في آنٍ واحد. خلص البحث إلى أن رثاء القادة في الشعر العباسي لم يكن مجرد تعبير عن الفقد، بل كان أداة لإعادة إنتاج صورة القائد المثالي وتثبيت قيم التفاني والولاء، إضافة إلى كونه مرآة لصراعات. السلطة وتغيّر أنماط الحكم .ستساهم هذه الدراسة في تقديم رؤية شاملة حول أهمية هذا الشعر في تشكيل الهوية الثقافية العربية، وكيف أن رثاء. القادة لم يكن مجرد تعبير عن الفقد، بل. تجسيد للقيم الإنسانية. والاجتماعية التي تميزت .بها تلك الحقبة.يسعى البحث للكشف عن تطور صورة القائد المرثي من النموذج القبلي القديم إلى النموذج السياسي والديني ، ما يعكس تحوّلات فكرية وثقافية في الوعي الجمعي العربي، وفق المنهج **الوصفي التحليلي** ؛لتحليل النصوص واستنباط الصور الفنية والمعاني ،والمنهج **التاريخي** لربط النصوص بسياقها الزمني والسياسي.
الكلمات المفتاحية: الرثاء، القائد العربي ، الشعر العباسي.

تمهيد :-

الرثاء: وحدة مدح واثرُ عاطفة وبنية تذكّر وموضوع تاريخ، ويختلف الرثاء عن المدح الخالص من جهة المقصود والغاية ، فالمرثيُّ مفقود والممدوح حاضرٌ_ بطبيعة الحال _ ؛ لذا نجد في المدح حياةً أو دعاءً لامتدادها، وفي الرثاء حسرةً وأنّةً.

ويرتبط الرثاء بمتن عام يمكن تحديده بالآتي:

أ- الموت وأثره في الناس بوصفه قاطعاً للتواصل.

ب-الحزن بوصفه نتيجةً.

جـ-الذاكرة بوصفها جزءاً من التاريخ.

د-العبرة بوصفها جزءاً من المستقبل.

ه- الفكر العقدي للإنسان بوصفه جزءاً من مظاهر الدين.

إنَّ قصيدة الرثاء _على وفق ما تقدّم _ ستحمل في طيّاتها جوانب إنسانية عديدة ودلالات زمنية متعلقة بالوجود وحيثياته، فبدا خطاب الرثاء مباشراً مرّة وموحياً مرّة أخرى.

ويختلف شعر رثاء القادة عن رثاء غيرهم في جملة أمور أهمها **الشعور الجمعي**، فموت القائد يعدُّ خسارة جمعية لا فردية، فضلاً عن المعجم الشعري، حيث سترد مفردات قريبة من غرض المدح في قصيدة رثاء القادة منها البطولة والاعتداد بالذات ومحاربة الزمن وغيرها، ولا بد من الإشارة إلى أن القصيدة الشعرية ليست عملاً ثابتاً لدى كلّ الشعراء حتى وإن توحدت اغراضهم، وإنما هي متحوّلة بتغيّر نظرة الشعراء واختلاف مشاربهم ومذاهبهم [1]

ويقترب الرثاء من المصطلحات الآتية:

1-الندب: فالندب لغةً ان تدعوا النادبة بحسن الثناء في قولها: وافلاناه [2]، نلاحظ أن في الندب دعوةً ونداءً يجولان في استذكار محاسن الميت، واستذكار حضوره في الملمّات وقال د. شوقي ضيف: الندب هو بكاء الأهل والأقارب والتفجّع عليهم وبيان مدى الحزن الذي يعصرهم، والنازلة التي حلّت بهم، ويمتدُّ ندبهم الى من يحلّون بمنزلة النفس مّمن يحبهم ويواليهم [3]، لقد نحا هذا التعريف منحى الدقة الدلالية على الرغم من تخصيصه غير المسوّغ لدلالة الندب، إذ حصرها ب (الأهل) دون غيرهم.

2- **التأبين**: التأبين لغةً:(ابَّنَ الرجل تأبيناً: مَدَحَهُ بعد موته)، ولقد حاول د. شوقي ضيف توسيع دلالة (التأبين) فجعله (نوحاً ولطماً) [4] ، وفي توسيعه هذا أصبحت دلالة التأبين ذات بعدين هما: القول والحركة.

3-**العزاء:** العزاء لغةً (الصبرُ على كلِّ ما فقدت) [5] ،وقد ربط د. شوقي ضيف العزاء ب (فلسفه الموت)[6]، ويبقى الثراء جامعاً للدلالات الثلاثة السابقة فالرثاء لغة من (رثيت الميت رثياً ورثاءً ومرثاةً، ورثيته: مدحته بعد الموت وبكيته) [7]، يتضح مما تقدم أنَّ الرثاء يجمع القول والبكاء والنوح ومحوره الأساس الإنسان بما يحمل من صلة قرابة أو رمزية سياسية أو دينية أو أخلاقية ويبدأ الرثاء في اللحظة (الفصل) ويتسم بالعاطفة الجيّاشة.

ويمكن تمييز قصيدة رثاء عن اخرى من خلال التقاليد الفنية واختلاف الزمن والدوافع الإنسانية وتمايز المعاني وتباين الالفاظ والمناسبة وعنصر الصدق [8]، وتشترك قصائد الرثاء بأنها (لا تهتم بالنسيب) [9]، او مطالع الغزل والرحلة إلى المخاطب، وتنحسر ظاهرة التكسب التي جاءت في قصائد المدح إلا في حالات عزاء القادة من خلال رثاء مفقوديهم.

المبحث الاول: صور القائد في شعر الرثاء

تظهر قصائد الرثاء العباسية القائد العربي بصورة مثالية تعكس صور الفروسية والشجاعة والعدل، وهذه الصفات لم تكن عبثية بل كانت تعبيراً عن تصور جمعي لما يجب أن يكون عليه القائد، لقد هيمنت **صورة القائد الإسلامية** في قصائد الرثاء في العصر العباسي يقول علي بن الجهم ت (٢٤٩ه)، في رثاء عبد الله بن طاهر ت(٢٣٠ه) [10].

أَيُّ رُكنٍ وَهَى مِن الإسلامِ ... أَيُّ يَومٍ أَفنى عَلى الأَيّامِ
جَلَّ رُزءُ الأَميرِ عَن كُلِّ رُزءٍ ... أَدرَكَتهُ خَواطِرُ الأَوهامِ
سَلَبَتنا الأَيّامُ ظِلّاً ظَليلاً ... وَأَباحَت حِمىً عَزيزَ المَرامِ

إنَّ صورة القائد في هذه الأبيات صورة منتمية إلى الإسلام في خطابها العام، وإلى القوة_قوة القائد_ في خطابها الخاص وهذه الصورة مُستمدة من الوظيفة التراكمية الاجتماعية في ذهن العقل الجمعي الذي أعطى لكلّ مَفصلٍ من مفاصل الحياة وظيفةً عامة وقد بَدَت القوة في ألفاظ(ركن) و(حمى) و(عزيز المرام)، فضلاً عن الإشارة إلى وظيفة(الدفاع) التي أوحاها تعبير (ظلاً ظليلاً).

وتبقى صورة **القائد البطل والفارس** في الآن نفسه حاضرة في مراثي القادة في العصر العبّاسي يقول المتنبي ت(٣٥٤ه) في رثاء أبي وائل تغلب ت(٣٨٣ه) [12]:

ما سَدَكَت عِلَّةٌ بِمَورودٍ أَكرَمَ مِن تَغلِبِ بنِ داوُدِ
يَأنَفُ مِن ميتَةِ الفِراشِ وَقَد حَلَّ بِهِ أَصدَقُ المَواعيدِ
وَمِثلُهُ أَنكَرَ المَماتَ عَلى غَيرِ سُروجِ السَوابِحِ القودِ
بَعدَ عِثارِ القَنا بِلَبَّتِهِ وَصَربِهِ أَروُسَ الصَناديدِ [13]

خلع الشاعر على مرثيه صفة(الأنفة) والفروسية، فهو مات ميتةً يبغضها، فللسرج دلالة سيمائية على البطولة التي كشف عنها الشاعر في البيت الرابع بخطابه المباشر المبني على (الإخبار)، إذ أخبرنا عن سيرة المرثي وقتله للشجعان؛ لذا فالمرثي لم يخرج عن الصورة المعتادة للفارس العربي من خلال وحدتي (الفرس والسلاح)، واستند الشاعر العباسي في رثاء القادة، إلى **مبدأ (التبادل)**، يقول دعبل الخزاعي(٢٢٠ه) في رثاء المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي:

هذا أَبو القاسِمِ الثاوي بِبَلقَعَةٍ تَسفي الرِياحُ عَلَيهِ مِن سَوافيها [14]
هَبَّت وَقَد عَلِمَتْ أَن لا هُبوبَ بِهِ وَقَد تَكونُ حَسيراً إِذ يُباريها
أَضحى قِرىً لِلمَنايا إِذ نَزَلنَ بِهِ وَكانَ في سالِفِ الأَيّامِ يَقريها [15]

بدا المرثي بصورة (مأكول المنايا) بعد ان أشبع المنايا أجساد اعدائه، فتحققت بذلك وظيفة **(التبادل)** المبنية على التغيير التام، إنَّ عاطفة الأسى وضحت من خلال المقارنة بين حياة القائد وموته ،وفضلاً عن مبدأ (التبادل) حاول الشاعر العباسي في رثاء القادة الاستناد الى **مبدأ(الغياب)** من ذلك رثاء أبي العتاهية(ت٢١٠هـ) ليزيد بن منصور(ت165هـ) إذ قال:

أَنعى يَزيدَ بنَ مَنصورٍ إِلى البَشَرِ أَنعى يَزيدَ لِأَهلِ البَدوِ وَالحَضَرِ
يا ساكِنَ الحُفرَةِ المَهجورِ ساكِنُها بَعدَ المَقاصِرِ [16] **وَالأَبوابِ وَالهُجَرِ**
وَجَدتُ فَقدَكَ في مالي وَفي نَشَبي [17] **وَجَدتُ فَقدَكَ في شِعري وَفي بَشَري**
فَلَستُ أَدري جَزاكَ اللَهُ صالِحَةً أَمَنظَري اليَومَ أَسوأ هو فيكَ أَم خَبَري؟ [18]

في هذه الابيات تأكيدان مختلفان الأول تأكيد حقيقة موت يزيد بن منصور والثاني تأكيد مناقض للأول يكمن في إخفاء وهمّ حياة يزيد بن منصور من خلال إمكانية سماعه رثاء الشاعر، وهذا الحضور الحامل لأمرين متناقضين يلائم الجملة الفلسفية الآتية:(في العالم لا تأكيد حقيقي اذا لم نضفِ عليه التأكيد المتناقض لإكماله)[19]، والملاحظ هيمنة صورة الشاعر على صورة القائد في منظره و مخبره، ولم تظهر صورة الشاعر واضحة وابدلها في متعلق في وظيفة إيضاحية هو (الحفرة) ، فالحفرة سيمائياً إشارة مكانية للقبر، والقبر رمز للموت، ومن ثَمَّ صورة القائد هي صورة مستنده إلى مبدأ (الغياب) أو الزوال بدلالة مكانية هي(الحفرة) فضلاً عن ذلك وسَّع الشاعر حزنه؛ ليشمل البسيطة بما فيها من بدوٍ وحضر.

وقد يرسم شاعر الرثاء صورة القائد وفق مبدأ (**التخصيص**) ، ومن ذلك ما انشده المتنبي في تعزية سيف الدولة الحمداني حين وفاة أمّه إذ قال:

يُدَفِّنُ بَعضُنا بَعضاً وَتَمشي أَواخِرُنا عَلى هامِ الأَوالي
وَكَم عَينٍ مُقَبَّلَةِ النَواحي كَحيلٍ بِالجَنادِلِ وَالرِمالِ
وَمُغضٍ كانَ لا يُغدي لِخَطبٍ وَبالٍ كانَ يُفكِرُ في الهُزالِ
أَسَيفَ الدَولَةِ استَنجِد بِصَبرٍ وَكَيفَ بِمِثلِ صَبرِكَ لِلجِبالِ
فَأَنتَ تُعَلِّمُ الناسَ التَعَزّي وَخَوضَ المَوتِ في الحَربِ السِجالِ
وَحالاتُ الزَمانِ عَلَيكَ شَتّى وَحالُكَ واحِدٌ في كُلِّ حالِ [20]

إنَّ صورة القائد في هذه الأبيات مستمدة من اشتراك الجانب الحسي (الجبل) مع الجانب المعنوي (الصبر)، ولقد انتقل الشاعر من النسق العام المتداول والمعروف في الوقت نفسه الذي يضمُّ مسألة الفناء والموت إلى النسق الثانوي المتعلق بالقصد نسق موت أمّ القائد، فيتحقق بذلك(التخصيص)، ومن خلال التخصيص تتشكّل صورة **القائد الصبور والشجاع** وفق وحدات تركيبية منتظمة مُستهلّة ب (نداء القريب) من خلال همزة النداء (أ سيف الدولة) ومختومة بـ(التقابل) بين حالات الزمان وحالة القائد، ويمكننا أنْ نوجز محاور القصيدة بالآتي:

أ- تعاقب الناس واستمرارهم .

ب- صورة القائد الصبور الشجاع.

ج-الذاكرة الجمعية التي لخَّصتها الافعال الثلاثة:(تعليم الناس التعزِّي ، وخوض المعارك، وثبات القائد).

المبحث الثاني : الأساليب اللغوية في رسم صور رثاء القائد

تظهر صور القائد في شعر الرثاء مرسومةً بواسطة **تكثيف الأساليب اللغوية نحوية كانت أم بلاغية** اعتمد شعراء الرثاء على التصوير البياني، والمبالغة، والتشبيهات التي تُعظّم من شأن القائد، وتُضخم الفقد ، والأسلوب الخطابي للتأثير في المتلقي، ومن الأساليب النحوية **أسلوب النداء** يقول الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ) في رثاء أحمد بن عبيد الله بن المرزبان الشيرازي ت(٣٨٣هـ)

يا عَلَمَ المَجدِ لِم هَوَيتَ وَقَد ... كُنتَ أَمينَ العِمادِ وَالطَنَبِ
يا مِقوَلَ الدَهرِ لِم صَمَتَّ وَقَد ... كُنتَ زَماناً أَمضى مِنَ القُضُبِ
يا ناظِرَ الفَضلِ لِم غَضَضتَ وَما ... كُنتَ قَديماً تُغضي عَلى الرَيبِ[21]

إن مقاربة السياق اللغوي يدلنا على أنَّ البناء التركيبي لهذه الأبيات الثلاثة بناءً مبنياً على **التوازي** من خلال الترتيب المتكرر وفق الآتي: **النداء والمخاطب فالإستفهام الاستنكاري فالعودة إلى الماضي فالمُخاطَب.**

البيت الاول/ يا +علم المجد+ لِمَ+ كنتَ + أمين العماد
البيت الثاني/ يا+ مقول الدهر+ لِمَ+ كنت+ أمضى من الشّهب
البيت الثالث/ يا ناظر الفضل+ لِمَ+ كنت + الإغضاء على الريب

نلاحظ ان التوازي غير كامل بسبب مناداة المُخاطب بصورته التي حاول أنْ ينوعها فجاءت الصورة متعددة على النحو الآتي:

1-عَلَم المجد 2- أمين العماد 3-مقول الدهر
4- الماضي في القول 5- المُفضل 6- المُغضي

هذه الصور المتعددة صور منتميةٌ إلى حقل (الاحتفاء)، وقد كان **للإستفهام بـــ (لِمَ)** إثرٌ في بيان أضداد الصور التي تصدرت الأبيات من دون المساس بالهيئة الفضلى للمُخاطَب، فضلاً عن ذلك أعطى التوازي إيقاعاً داخلياً للنص ولا سيّما في البيتين الأول والثاني أما الثالث فنرى الشاعر قد استعان بأسلوب النفي **(ما كنت)** عوضاً عن أسلوب التوكيد في البيتين السابقين (قد كنت)، وهو استبدال دلالي لا استبدال إيقاعي وقد أكّدت هذه الصور المتعاقبة حقيقة أنَّ نظام اللغة نظام متشابك العلاقات بين وحداته (22) .

ويلجأ بعض الشعراء في رثائياتهم إلى أسلوب **الجمل المترادفة**، ولا سيما في رسم صورة المُخاطَب ومن ذلك قول أبي فراس الحمداني(ت 357ه) في رثاء أبي وائل بن داوود الحمداني التغلبي(ت 338ه) :

ما أَنا أَبكيهِ وَلَكِنَّما ... تَبكيهِ أَطرافُ القَنا الذابِلِ[23]
ما كانَ إِلّا حَدَثاً نازِلاً ... مُوَكَّلاً بِالحَدَثِ النازِلِ
دانٍ إِلى سُبلِ العلى والنَدى ... ناءٍ عَنِ الفَحشاءِ وَالباطِلِ
أَرى المَعالي إِذ قَضى نَحبَهُ ... تَبكي بُكاءَ الوالِهِ الثاكِلِ
الأَسَدُ الباسِلُ وَالعارِضُ الـ ... هاطِلُ عِندَ الزَمَنِ الماحِلِ
لَو كانَ يَفدي مَعشَرٌ هالِكاً ... فَداهُ مِن حافٍ وَمِن ناعِلِ
فَكَم حَشا قَبرَكَ مِن راغِبٍ ... وَكَم حَشا تُربَكَ مِن آمِلِ
سَقى ثَرىً ضَمَّ أَبا وائِلٍ ... صَوبُ عَطايا كَفِّهِ الهاطِلِ
لا دَرَّ دَرُّ الدَهرِ ما بالُهُ ... حَمَّلَني ما لَستُ بِالحامِلِ[24]

حاول الشاعر أن يظهر عاطفة الحزن لفقده تغلب بن داود -من أمراء بني حمدان وشجعانهم- مستنداً إلى **الجمل المترادفة المفيدة للتوكيد** بغية تثبيت الصور في ذهنية المتلقي ففي البدء القائد فارسٌ من خلال بكاء الرماح الدقيقة عليه، والقائد كريم من خلال إيحاء لفظ (الندى)، والقائد فريد زمانه وذو ثوب طاهر أبيض لا دنسَ فيه، ثمَّ أعاد صورة القائد الفارس مقترنةً ببكاء المعالي والقائد الكريم بواسطة تركيب (العارض الهاطل) والقائد فريد زمانه في زمن السوء.

ثم ختم هذا **التكثيف الصوري بأسلوب الدعاء** غير الخاضع لقاعدة (سقى ثرى)؛ لينتقل إلى ما بدأ به هذا المقطع أقصد عاطفة الحزن معاتباً الدهر، ويبدو أنَّ معاتبة الدهر معادل موضوعي في أغلب قصائد الرثاء في الشعر العربي.

ونلاحظ أنَّ الصور جميعها كانت منتمية إلى الحقل المعنوي، فلم يتطرق الشاعر الى الجوانب الحسية؛ لانَّ الموت لم يبق الجسد فلا جدوى من تصويره، فهيمن وصف المعنويات لقربها من الخلود أو ما تخزنه الذاكرة، وأحاط هذا الوصف بالعاطفة الجياشة والصادقة.

-والمتابع لشعر رثاء الخلفاء يلاحظ أنَّ الشاعر يستخدم وسيلة **(حسن التخلص)** في حال وراثة الخليفة الحي، فيجمع في قصيدته موضوعين غير متوافقين هما **الرثاء والتهنئة** ومن ذلك ما انشده الشاعر أبو دلامة ت(١٦٠ه) عندما جلس الخليفة المهدي ت (١٦٩ه) للتعزية والتهنئة اذ قال:

عَينَانِ وَاحِدةٌ تُرَى مَسرُورَةً ... بِإمَامِها جَذلَى وأُخرَى تَذرِفُ
تبكي وَتَضحَكُ مَرَّةً وَيَسُوؤها ... ما أبصَرَت وَيَسُرُّها ما تَعرِفُ
فَيَسُوؤها مَوتُ الخَلِيفةِ مُحرِماً ... ويَسُرُّها أن قامَ هذا الأَرأفُ
أهدَى لهذا اللهُ فَضلَ خِلافَةٍ ... وَلِذاكَ جَنَّاتِ النَّعيمِ تُزَخرَفُ
فَابكُوا لِمَصرَعِ خَيرِكُم وَوَلِيِّكُم ... واستَشرِفُوا لِمَقَامِ ذا وتَشَرَّفُوا(25)

وقف الشاعر موقف المحايد الذي نستطيع أنْ نسمّيه الموقف الوسط ، إنّه موقف بين حالتي: الإيجاب والسلب، ولقد أعانه شكل القصيدة ذات الشطرين في ضبط التساوي بين الموقفين المتضادّين، وقد أعطتنا الابيات الخمسة صورا للقائدين فالأول القائد الخليفة والثاني القائد الإمام. ويبدو أنّه أضفى على الحيِّ صورة (الإمام) لما تحمل من قُدسية محضة، على الأول صورة(المتقدّم) بما يُوحيه لفظ (خيركم) وعلى الثاني صوره(الرؤوف)، ومعلوم أنَّ الرأفة مرتبطة بالعاطفة التي تكون ضابطة لقوه القائد ، وعلى الأول صورة(الوالي) وعلى الثاني صورة(الشريف) التي هي امتداد لصورة (الولي) بما تحمله من مكانة في الحقل الاجتماعي. إنَّ هذه الأبيات أبيات (طبع) لا أبيات (صنعة)، على الرغم من حضور التساوي الدقيق في رؤية الشاعر، والطبعُ أقرب إلى قصائد العاطفة من الصنعة_ كما هو معلوم _ولم تخرج الصور في الأبيات من لغة الاحتفاء التي يتميز بها خطاب الرثاء وخطاب التهنئة على حدٍّ سواء، يمكن أن نطلق مصطلح **(التعادلية)** على القصائد التي تجول في غرضيين مختلفين ولغتهما واحدة.

وتظلُّ صورة القائد المرثيّ تدور في حقل **الفرادة والتميّز** في الروح والجسد يقول يزيد بن حاتم المهلبي ت(259ه)في رثاء الخليفة المتوكل ت (247ه).

لا حزن إلا أراه دونَ ما أجدُ وهل كمن فقدت عيناي مفتقدُ ؟
لا يبعدن هالكٌ كانت منيَّتهُ كما هوى عن غطاء الزُبيةِ الأسدُ
لا يدفع الناس ضيماً بعد ليلتهم إذ لا تمدُّ على الجاني عليك يَدُ
لو أنَّ سيفي وعقلي حاضران له ابليته الجُهْدَ إذ لم يبلِهِ أحَدُ
جاءت منيتهُ والعين هاجعةٌ هلَّا أتته المنايا والقنا قِصَدُ

برزت صورة **القائد الفرد** في القصيدة بروزاً واضحاً من خلال بث الشاعر لواعجه التي ظهرت مختلفة في اختيار الألفاظ، لكنها ذات دلالة واحدة فالقائد الفرد المُفْتَقد لا أحد يشبهه (وهل كمن فقدت عيناي مُفتقد)، والقائد الفرد العالي في مكانه(الزبية)، والزبية_ كما هو معلوم_ لا يصل اليها السيل العالي، والقائد الفرد اخذته المنية وهو نائم؛ والقائد الفرد ليثٌ على الرغم من وفاته، والقائد الفرد ذومنزلة مقدّسة حيث لا يعلوه إلّا الباري عزَّ وجل والقائد الفرد عبرة للآخرين لما يحمل موته من دلالات الفناء، أي :فناء الابطال ،والقائد الفرد خليفة، بما يحمله مصطلح(خليفة) من مكانة دينية ودنيوية، والقائد الفرد ذو روح لا مثيل لها ولا جسد يضاهي جسده.

ولابن المعتز ت(296هـ) في رثاء المعتضد:

يا دَهْرُ وَيْحَكَ مَا أَبْقَيْتَ لي أَحَدًا وانت وَالِدُ سَوْءٍ تَأكل الوَلَدَا
أستغفر الله بل ذا كلّه قَدَرٌ رضيتُ باللهِ رباً واحداً صَمَدا
يا سَاكِنَ القَبْرِ فِي غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ بِالظَّاهِرِيَّةِ مُقصى الدَّارِ مُنْفَرِدَا
أَيْنَ الجيُوْشُ الَّتِي كُنْتَ تَسْحَبُهَا أَيْنَ الكُنُوْزُ الَّتِي أَحْصَيْتَهَا عَدَدَا؟
أَيْنَ السَّرِيْرُ الَّذِي قَدْ كُنْتَ تَمْلَؤُهُ مَهَابَةً مَنْ رَأَتْهُ عَيْنُهُ ارْتَعَدَا؟
أَيْنَ الأَعَادِي الأُلَى ذَلَّلْتَ مُصَعْبَهُمُ أَيْنَ اللُّيُوْثُ الَّتِي صَيَّرْتَهَا بَددا؟
أين الجيادُ التي حجلتها بدمٍ وكنَّ يحملْنَ منك الضيغم الأسدا (26)

استهلت القصيدة **بنداء الزمن**، وكان حضور لفظ (الدهر) حضوراً دلالياً، فالدهر منحاز إلى السلبية والسوء، وعبّر **حرف النداء(يا)** على ما يختلج الشاعر من غضب وحزن، ويبدو أنَّ لفظ (الدهر) مرتبطٌ بالاستمرارية والدوام والتواصل بين عالمي (الحضور والغياب) أو (الحياة والموت) ونجد استدراك الشاعر لتجاوزه على الدهر فأعلن إيمانه في البيت الثاني الذي جاء بوصفه اعتدالَ رأي وسويّة موقف. (27) كانت صورة القائد الخليفة صورة استرجاعية لا صورة مستقبلية او حالية، وبنى الشاعر صورته صوره القائد على (الاستفهام) لذا، نرى تصدير اغلب أبيات القصيدة بـ (أين) ومعلوم أنَّ (أين) تفيد الاستفهام المكاني. لقد أفاد الشاعر من ثنائية ا(الزمان والمكان) ؛ ليوضّح صورة واحدةً للخليفة إنها صورة (الخليفة) الجامع للشروط ، فهو قائد أوحاه لنا لفظ (الجيوش) وقائد لا مثيل له، وهو محنك بإدارة شؤون الأمة من خلال لفظ (السرير) وقد أدّى (السرير) وظيفة الصورة المجاورة وصوره السرير المهاب في الحقيقة هي صوره القائد المهاب وهو شجاع من خلال فعله إذ جعل الأعداء بددا والخيول طائعة مذعنةً له.**مما تقدم يتضح لنا (أنَّ الفضاء بركنيه الزمان والمكان) أداةٌ لرسم الصورة ،صورة الخليفة الذي خضع لقوانين الكون.**

الخاتمة :

في ختام هذه الدراسة التي سعت إلى الكشف عن اهم صور رثاء القائد في الشعر العباسي، قد توصلت إلى نتائج أهمها:

1- أن رثاء القائد العربي في العصر العباسي لم يكن مجرد تعبير عن الحزن لفقدان شخصيات بارزة، بل كان أداةً فنية وثقافية تعكس القيم والمبادئ التي كان يمثلها هؤلاء القادة. فقد تجلت في قصائد الرثاء صور متعددة تعكس الفخر والاعتزاز بالماضي، وتسليط الضوء على إنجازات القادة، مما يعكس عمق العلاقة بين الشعراء وقادتهم.

2- عاطفة الحزن واحدة بين. الشعراء في رثائيتاهم لان اغلب من يرثون هم لهم منزلة رفيعة في نفوس الشعراء؛ لذا نجد التفجع والحسرة والتلهف. والأسف والأسى غالبة في قصائدهم فضلاً عن **الإستعظام اذا كان الميت خليفةً أو ما يقارب مكانته.**

3- أن الشعراء العباسيين استخدموا الرثاء كوسيلة للتعبير .عن آلام المجتمع وتطلعاته، حيث تجلى ذلك في. الأساليب اللغوية و الألفاظ والصور البلاغية التي استخدموها، مما أضفى بعدًا إنسانيًا على عملية الرثاء. فقد كان القائد بالنسبة. لهم رمزًا للشجاعة والكرامة، ولذلك كانت قصائد الرثاء تجسد .مشاعر الفقد والحنين، وتعكس أيضًا الأمل في .تجديد الهوية الوطنية

4- أنَّ صورة القائد تشكلت من خلال تفكيك العلاقة **بين الحياة والموت والرابط بينهما الخلود**، خلود الخليفة بما يمثله من .سطوة سياسية عليا ، وخلود القائد بما .يمثله من سطوة عسكرية، وإنَّ أغلب الصور .نتجت عن **حزن صادق** ويقين عميق بحقيقة الموت؛ لذا جاءت الصورة مقيّدة لقبضة الحزن وسلطان .الإنفصال الذي يمثّله الموت.

5- تجلّت في صورة القائد المرثي عناصر البطولة، والشجاعة، والحكمة، والكرم، والإيمان، مما يجعل من هذا الرثاء وثيقة أدبية تُعبر .عن رؤية الشاعر لما يجب أن يكون عليه القائد المثالي. كما عكس تعدد صور الرثاء .واختلافها من شاعر لآخر، تنوع التوجهات السياسية والثقافية في المجتمع العباسي، وثراء البيئة الشعرية آنذاك.

6- إن دراسة رثاء القادة تفتح آفاقًا لفهم الشعر. بوصفه فاعلاً اجتماعياً وسياسياً، لا مجرد نتاج فني. وهي دعوة لإعادة قراءة هذا الشعر في ضوء .المتغيرات التاريخية الكبرى التي شهدها العصر العباسي.

الهوامـش:

1. قصيدة الرثاء عند المتنبي (الرؤية والإدارة): سند علي صلاح الجهني، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، السعودية ١٤٢٩ه_ ١٤٣٠ه ص:١١
2. لسان العرب، ابن منظور(جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرمت 711ه)،تحقيق:عبدالله علي الكبير و آخرون ، دار المعارف، القاهرة،1961م ، مادة(ندب).
3. فنون الادب العربي الفن الغنائي(الرثاء)، د.شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ص:٥
4. فنون الأدب العربي ص:5، وينظر: قصيدة الرثاء عند المتنبي (الرؤية والادارة)، رسالة ماجستير، سند علي صلاح الجهني، كلية اللغة العربية جامعه ام القرى، السعودية 1429-1430، ص:12.
5. لسان العرب، ابن منظور:(ماده عزا).
6. فنون الأدب العربي ، د. شوقي ضيف ، ص:٥.
7. لسان العرب: مادة:(رثى).

8. رثاء الأخوة في الشعر العربي القديم، رسالة ماجستير هشام أحمد محمد علي، كلية الآداب، جامعة المنيا، مصر،٢٠٠٤م، ص:٩٩_١٠٠(بتصرف) .
9. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني، دار الجيل، بيروت 1981: ج٢، ص:١٥١.
10.عبد الله بن طاهر أشهر ولاة العصر العباسي، كان والياً للشام وخراسان، ينظر: مروج الذهب ج4، ص:131.
11.ديوان علي بن الجهم، تحقيق خليل مردم بك، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م، ص:١٨٢
12.سدكت: لزمت ، والمورود: المحموم، ينظر لسان العرب مادتي (سدك) و(حمم) .
13.ديوان المتنبي، شرح عبد الرحمن البرقوقي : ص٢٩٣.
14.سفت الريحُ التراب: حملته ونشرته ينظر: لسان العرب مادة(سفَّ).
15.ديوان دعبل الخزاعي، شرح: حسن حمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ص:١٤٣_١٤٤.
16. القِرى: الكرم، ينظر لسان العرب ماده (قرى)
17.المقاصر مفردها مقصورة: دار واسعة مُحَّصنة الحيطان، ينظر: لسان العرب مادة (قصر).
18.النشب: الصقار، ينظر: لسان العرب ماده(نشبَ).
19.ديوان ابي العتاهية (اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان)، دار بيروت، لبنان،١٩٨٦م، ص:٢١٩.
20. الإله الخفي: لوسيان غولامان، د. ترجمة: زبيدة القاضي، الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٠م دمشق، ص94.
21.ديوان المتنبي، ج٣، ص:140-141.
22.يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، الثعالبي ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري، ت(٤٢٩ه) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبوعات السعادة، القاهرة ط1956،٢م، ج3 ،ص١٤٨:، و ينظر ديوان الشريف الرضي، دار صادر، بيروت١٩٦١م،ج١ص:٥٨٠
23.علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي) ، منقور عبد الجليل، اتحاد الكتاب العرب دمشق،2001م، ص:88 .
24.القنا: الرماح، الذابل من الرماح: دقيقُها، ينظر لسان العرب مادتين(قنا) و(ذبل)
25.ديوان ابي فراس الحمداني: شرح د. خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م، ص: ٢٦٧
26.ديوان أبي دلامة، تحقيق: د. أميل بديع يعقوب، دار الجيل، ط1، بيروت،1994م ، ص :٥٨.
27.ديوان عبدالله ابن المعتز(الخليفة العباسي)، شرحه مجيد طراد، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ،1995م: ج2، ص:٢٩٣.
28.في الرؤية الدينية الآله هو الله تعالى، ينظر فلسفة الزمن وتقسيمه في الفكر العربي: د. ماجد عبد الله الشمس، دار النهد،حلب،ط1، 2007م، ص:47.

المصادر والمراجع

1- الإله الخفي: لوسيان غولامان، د. ترجمة: زبيدة القاضي، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق،٢٠١٠م.
2- ديوان ابن المعتز، تحقيق، د.محمد بديع شريف، دار المعارف ، ط1 : ج2.
3- ديوان أبي العتاهية (اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان)، دار بيروت، لبنان،١٩٨٦م.
4- ديوان أبي دلامة، تحقيق: د. أميل بديع يعقوب، دار الجيل، ط1، بيروت،1994م.
5- ديوان أبي فراس الحمداني: شرح د. خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.
6- ديوان الشريف الرضي، دار صادر، بيروت١٩٦١م،ج ١.
7- ديوان المتنبي، شرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي 2007.
8- ديوان دعبل بن علي الخزاعي، شرح: د. عبد الكريم الأشتر، مطبوعات،مجمع اللغة العربية بدمشق ، ط2، ١٩٩٤م.
9- ديوان علي بن الجهم، تحقيق خليل مردم بك، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م،
10- رثاء الأخوة في الشعر العربي القديم، رسالة ماجستير هشام أحمد محمد علي، كلية الآداب، جامعة المنيا، مصر،٢٠٠٤م.
11- مروج الذهب ومعادن الجوهر،ابي الحسن علي بن الحسين علي المسعودي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر للنشر والتوزيع ،1973م ج4.
12- علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي) ، منقور عبد الجليل، اتحاد الكتاب العرب دمشق،2001م.
13- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني، دار الجيل، بيروت 1981: ج،١.
14- فلسفة الزمن وتقسيمه في الفكر العربي: د. ماجد عبد الله الشمس، دار النهد،حلب، ط2007،1م
15- فنون الادب العربي الفن الغنائي(الرثاء)، د.شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة.
16- قصيدة الرثاء عند المتنبي (الرؤية والإدارة): سند علي صلاح الجهني، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، السعودية ١٤٢٩ه_ ١٤٣٠ه .
17- لسان العرب، ابن منظور(جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرمت 711ه)، تحقيق:عبدالله علي الكبير و آخرون ، دار المعارف، القاهرة،1961م .
18- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، الثعالبي ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري، ت(٤٢٩ه) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبوعات السعادة، القاهرة ،1956م،ط2 .

Sources and References

1- The Hidden God: Lucien Golaman, Dr. Translated by: Zubaida Al-Qadi, General Syrian Book Organization, Damascus, 2010.
2- The Diwan of Ibn al-Mu'tazz, edited by Dr. Muhammad Badi' Sharif, Dar al-Ma'arif, 1st ed., Vol. 2.
3- The Diwan of Abu al-Atahiya (Ismail ibn al-Qasim ibn Suwayd ibn Kaysan), Dar Beirut, Lebanon, 1986.
4- Diwan of Abu Dulamah, edited by Dr. Emile Badi' Ya'qub, Dar Al-Jeel, 1st ed., Beirut, 1994.

5- Diwan of Abu Firas Al-Hamdani: explained by Dr. Khalil Al-Duwaihi, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, 2nd ed., 1994.
6- Diwan of Al-Sharif Al-Radi, Dar Sader, Beirut, 1961, vol. 1.
7- Diwan of Al-Mutanabbi, explained by Abd Al-Rahman Al-Barquqi, Dar Al-Kitab Al-Arabi, 2007
8- Diwan Da'bal ibn Ali al-Khuza'i, explained by Dr. Abdul Karim al-Ashtar, Publications, Academy of the Arabic Language in Damascus, 2nd ed., 1994.
9- Diwan Ali ibn al-Jahm, edited by Khalil Mardam Bey, Dar al-Afaq al-Jadida Publications, Beirut, 2nd ed., 1980.
10- Elegy for Brothers in Classical Arabic Poetry, MA thesis by Hisham Ahmed Muhammad Ali, Faculty of Arts, Minya University, Egypt, 2004.
11- Meadows of Gold and Mines of Gems, by Abu al-Hasan Ali ibn al-Husayn Ali al-Mas'udi, edited by Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, Dar al-Fikr for Publishing and Distribution, 1973, vol. 4.

12- Semantics (Its Origins and Topics in the Arab Heritage), by Manqur Abd al-Jalil, Arab Writers Union, Damascus, 2001.
13- The Pillar of the Beauties of Poetry, Its Etiquette, and Its Criticism, by Ibn Rashiq al-Qayrawani, Dar al-Jeel, Beirut, 1981: vol. 1.
14- The Philosophy of Time and Its Division in Arab Thought: by Dr. Majid Abdullah al-Shams, Dar al-Nahd, Aleppo, 1st ed., 2007.
15- The Arts of Arabic Literature: Lyrical Art
(Elegy), Dr. Shawqi Dayf, Dar Al-Maaref, Cairo.
16-The Elegy Poem of Al-Mutanabbi (Vision and Management): Sand Ali Salah Al-Juhani, Master's Thesis, Faculty of Arabic Language, Umm Al-Qura University, Saudi Arabia, 1429-1430 AH.
Lisan Al-Arab, Ibn Manzur (Jamal Al-Din Abu Al-Fadl Muhammad bin Makramt 711 AH), edited by Abdullah Ali Al-Kabir and others, Dar Al-Maaref, Cairo, 1961 AD
17- Lisan al-Arab, Ibn Manzur (Jamal al-Din Abu al-Fadl Muhammad ibn Makramat 711 AH), edited by: Abdullah Ali al-Kabir and others, Dar al-Maaref, Cairo, 1961.
18-Yatima al-Dahr fi Mahasin Ahl al-Asr, al-Tha'alibi Abu Mansur Abd al-Malik ibn Muhammad ibn Ismail al-Naysaburi, d. (429 AH), edited by: Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, al-Sa'adah Publications, Cairo, 1956, 2nd ed.

Elegy of the Arab leader and his images in Abbasid poetry

Abstract:

Abbasid poetry is one of the most prominent literary forms in Arab history, reflecting the social and political transformations witnessed during the Abbasid era. One of the topics that occupied a significant portion of poets' attention was the elegies of Arab leaders. These poems embody feelings of loss and pain and highlight the values these leaders represented in the eyes of their people. Elegies in Abbasid poetry are characterized by eloquence and emotional depth, with poets using a variety of techniques to convey feelings of grief while evoking the achievements and deeds of their leaders.

The research aims to explore the images of elegy for Arab leaders in Abbasid poetry by analyzing selected poetic models, studying the social and political dimensions that shaped this type of elegy, and analyzing how poets used elegy for leaders as a means of expressing their national feelings.

Such as the use of syntactic parallelism, similes, interrogation, vocatives and synonymous sentences, with the emergence of moral images that reflect eternity, such as generosity, patience and heroism, and rhetorical methods that reflect sadness and pride at the same time.

Key words: elegy, Arab leader, Abbasid poetry.